الإسلام واتجاهات الفكر المعاصر

للدكتور محمد إبراهيم الفيومي

الإنسان في الإسلام: مخلوق الله تعالى وقد أودع الله فيه علما وجعله خليفة في الأرض يقوم بعمارتها طبقًا لمنهج الله تعالي.

والإسلام: يربط بين الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان، يقول الله تعالى في ذلك: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (31) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} "البقرة:30، 33".

والإسلام بمقتضى هذا العلم مرتبط بالله تعالى وحده – وقد أعطي قدرة إعمار الأرض وقدرة الاتصال بالخالق سبحانه وتعالى – والصورة المثلى لدوام الحضارة وارتقائها ما كانت متجاورة مع الإنسان، لذلك كان منهاج الإسلام للإنسان قائمًا على الارتباط بين الجانبين المادي والروحي.

وهذا الموضوع اهتم به الدكتور محمد إبراهيم الفيومي الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في كتابه: (الإسلام واتجاهات الفكر المعاصر)، وقد تحدث فيه عن الإسلام وعن التيار الماركسي والتيار الوجودي، ليصل في النهاية، وبعد الدرس والمناقشة توصل إلى أن الإسلام هو الدين الذي يصلح للإنسان في كل عصر وفي كل مكان.

وأن الفلسفات الأخرى للإنسان من جانب واحد، وهي لذلك لا تستطيع أن تصل به إلى الطريق السليم الذي يصل بالإنسان إلى بر الأمان، ويجعله قادرًا على أداء رسالته في أمن واطمئنان وسعادة.

التيار الماركسي:

الدين في نظر ماركس هو دين العجزة والقانطين - دين إنشاء الخيال ليخلق له في المستقبل جنة تعوضه كثيرًا عما وقع عليه من ظلم - والعيوب التي أخذها ماركس على الدين - بلفظه العام - كانت مستوحاة من الواقع الاجتماعي الذي عاش فيه وعاشت فيه أوروبا قبل ذلك، وكان هذا معلومًا عندما كان خاضعًا لحكم طبقة دينية أظهرت دينها وكأنه مخدر للأمة.

والإسلام إذا تزعم الثورة على ماركس وأتباعه فإنما يثور على الإلحاد والتضليل الفكري، وإذا كان من أهم الأشياء التي أشار إليها ماركس كيف يكون الإنسان وعمله يباع ويشتري، وليست هناك أعمال

تعبر عن ذاته، فإن الإسلام قدم المزيد من العناية بالفرد في أعمال تنمي ذاته وأعمال تربط بينه وبين الجماعة.

فالإسلام يربط بين خدمة الإنسان لنفسه وعبادة الله تعالى وبين تحقيق الأهداف، وبذلك يظهر تورط الماركسية في محاربة الدين ثم راحت تحل محله مبدأ الإلحاد العلمي، وقد خلطت الماركسية بين الدين ورجاله، فوصفت الدين بأنه مخدر ينطبق على دين الكهنة، لا على دين الله تعالى الذي رفع من شأن الإنسان ورعي قيمه.

ويجب أن يكون منطلق الإنسانية كلها منطق الإسلام الذي يكفل للإنسان حريته وإرادته، وذلك عن طريق الاعتقاد في الله تعالي، لا مبدأ الحاتمية، يقول الله تعالي: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} "البقرة:186".

وقد أبرز الإسلام الاعتبار الإنساني باستخلافه في الأرض واختصاصه بالعلم وفيه الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} "الحجر: 28، 29".

وانضباط السلوك البشري يكون بالأخلاق وبالاتصال بالله لا بالشرطة، ومنفعة المال منفعة عامة لأفراد المجتمع جميعًا وإن كانت ملكيته ملكية خاصة.

التيار الوجودي:

الوجودية مذهب سخط معاصر، وهناك عوامل الانحراف التي جعلت الوجودية علمًا يبعث الإلحاد، ويقوم على عوامل مسخ الإنسان لنفسه بمسخ مفهوم الإنسان يجعله آلة نتيجة سيطرة الآلة والحاسبات الإلكترونية على كل شيء، وأصبح مفهومًا لديهم أن الإنسان لا يستطيع أن يقرر أمره، لأنه خاضع لحسابات الآلة، إنه آلة ضمن الآلة الكونية وما الكون في نظرهم سوى آلة ضخمة، ثم مسخ مطالب الإنسان بحصرها في المطالب المادية وحدها، فإذا ما بعد الإنسان عن الناحية الروحية التي تصله بالسماء، فإنه يكون قد فقد ذاته وأصبح يعيش في ضياع.

إلى جانب أن مسخ الإنسان يجعله ترسا في آلة تسويق باسم (تسويق اليد العاملة) بعد حصر الإنسان داخل مطالب مادية، وقد أصبحت هذه المطالب المادية تعبر عن ذاته كما يقول: "والوجود يحاول أن يرسم دائمًا مفهوم الإنسان غير أنه ينتهي إلى لا شيء إلا أنا أحيا وأحيا فقط"، وهذا اضطراب في التكوين الفكري واختلال في التوازن الذي يوجد بين غاية الفكر ووسائله.

والإسلام يربط بين الصورة والحقيقة في الإنسان، ويهذب من شأن النظرة إليها.

الصورة الأولي: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} "ص:71" أي أنه مخلوق من طين.

والحقيقة: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي}أي أنه حر فلا يدين لأحد غير الله تعالي، وارتباك الإنسان في فهم نفسه كان نتيجة رفعه على العوالم الأخري المصورة في قوله تعالي: {فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}، لذلك راح يهذب من شأن الفطرة التي قد لا تفهم على حقيقتها من وراء مغزى السجود، فقال: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ} "السجدة: 8، 9". فالإنسان يحمل في نفسه الاعتقاد بأن الله تعالى كرمه وفضله على كثير من مخلوقاته.

والوجودية ترى أن الحياة الحافلة بالإيمان ما هي إلا وهم وخيال، فهي حياة محدودة في الزمان والمكان، والإنسان جاء إليها بدون إرادته فكأنه قذف إليها قذفا، فهو لذلك يعيش في قلق دائم، لكن الإسلام يرى أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، والله سبحانه وتعالى {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} "البقرة:257، والوجود في نظر الإسلام مكون من وجود زمني في الدنيا ووجود أبدي في الآخرة.

والموت في نظر الإسلام هو النهاية الطبيعية للوجود الزمني ومرحلة انتقال إلى الوجود الأبدي.

مكونات الشخصية في الإسلام:

تتكون الشخصية في الإسلام من عدة عناصر:

العنصر الأول: عقيدة الوحدانية التي لها أثرها في النفس وفي السلوك، فالإيمان بالله تعالى وحده، يعني الإيمان بالنظام في الكون والخضوع لإرادة الله تعالى في الكون، وعبادة الله تعالى توحد بين البشر جميعًا وتربطهم بالحرية والمساواة والإخاء، وفي النهاية هي السبيل لطمأنينة النفس: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} "الحجر: 28، 29".

العنصر الثاني: مكانة الإنسان ومسئوليته، فالإنسان كرمه الله تعالى وجعله سيد المخلوقات ومنحه حرية الإرادة التي تقابلها المسئولية، وأرسل الله تعالى الرسل، ليرفعوا من شأن اختيار الإنسان لتكون عند القدرة والتمييز بين الخير والشر، يقول الله تعالي: {أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} "المائدة: 3".

العنصر الثالث: حياة الإنسان لا تنتهي بالموت، وذلك يزرع في الإنسان الأمل المقترن بالعمل الصالح لنفسه ولأمته وللإنسانية جمعاء.

العنصر الرابع: تمتاز رسالة الإسلام بالشمول والتوحيد لطبيعة الإنسان الواحدة، فالشمول القرآني يشمل الوجود كله ويتناول زمنيًا ومكانيًا،

وتشريعه يربط بين المادة والروح، بين الإيمان والعقل، بين الدين والدنيا، بين الفكر والعمل.

العنصر الخامس: الدين الإسلامي دين عملي يربط الإنسان بصورة عمليه، ففيه التشريعات التي تساعد على ضبط النفس، وفيه ما يساعد على الروابط الاجتماعية من مستوى الأسرة مرتقيا بها إلى مستوى العالمية وفيه ما يرشح الإنسان للخلود والأمن.

وهكذا تظهر لنا اتجاهات الفكر المعاصر في الإسلام وفي غيره، ويوضح لنا أن المسلم يعيش في أمن وأمان واطمئنان وسكينة نفس، يدعو الله على بصيرة ويجاهد في الله حق جهاده، لينقذ الإنسان من الأفكار الهدامة ومن السير في طريق الهاوية.